

أزمة الهوية عند الروائيين الجزائريين المهجريين بين ذاتية الثقافة وأجنبية اللغة - مالك حداد أنموذجا -

Identity crisis of Algerians diaspora between self-culture and foreign language -Malek Haddad as a model-

* محمد لعمرى

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية
وحدة ورقلة - الجزائر

Mohammed Lamri

Center for Scientific And Technical Research On
Arabic Language Development
Linguistic Research Unit And Arabic Language
Issues In Algeria (Ouargla – Algeria)

m.lamri@crstdla.dz

تاريخ النشر: 2023/06/15

تاريخ القبول: 2023/06/10

تاريخ استلام المقال: 2023/05/24

ملخص

عالجت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية مختلف القضايا المتعلقة بالإنسان الجزائري؛ إذ استطاعت تصوير واقعه والتعبير عن شخصيته برؤى إبداعية فنية صادقة، غير أن إشكالية اللغة والهوية وإشكالية الانتماء الديني والعنقي والإيديولوجي ظللتا تشغلان أذهان الروائيين الجزائريين المهجريين الذين عاشوا غربة الوطن وغربة اللغة، فهل استطاع الروائي الجزائري تخطي أزمة الهوية في رحلة بحثه عن ذاته الجزائرية والتعبير عن خصوصياتها الثقافية في أدبه؟ أم حال عائق اللغة عنده دون ذلك؟ لذا يسلط هذا البحث الضوء على قضية إثبات الهوية الوطنية- بهدف إبراز أهميتها في ظل الكتابة بلغة الآخر عند الروائيين الجزائريين وعلى رأسهم مالك حداد الذي شبه اللغة الفرنسية التي يكتب بها بالمنفى. الكلمات المفتاحية: اللغة؛ الهوية؛ الرواية؛ الثقافة؛ مالك حداد.

Abstract

The Algerian novel, written in French, addressed various issues relating to Algerian man, as it was able to portray his reality and express his personality with creative artistic

insights. However, the problems of identity and religious, ethnic and ideological affiliation continued to occupy the minds of Algerian immigrant novelists who lived away from the homeland and language. Hence, was the Algerian novelist able to overcome the identity crisis in his journey of searching for the Algerian self and expressing its cultural particularities in his literature? Or did the language barrier prevent it? The research therefore highlights the issue of proving national identity while writing in the language of the other among Algerian novelists such as Malek Haddad, who likened French language writings to exile.

Keywords: Language; identity; novel; culture; Malek Haddad.

1. مقدمة

نشأت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية في ظروف اجتماعية وسياسية وتاريخية خاصة؛ حيث ارتبطت بمرحلة من تاريخ المجتمع الجزائري خضع فيها الواقع الثقافي للواقع السياسي الذي تطور في ظروف مأساوية أدت إلى ظهور تناقضات اجتماعية وفكرية أفرزت أدوات تعبيرية أجنبية (منور، 2007م، ص 175)، حيث سعى الاستعمار الفرنسي جاهدا لفرض سياسته التي تهدف إلى نشر ثقافته وتعزيز استخدام لغته جاعلا منها اللغة الرسمية وأداة التعبير الرئيسية في البلاد، فلم يتوانى في فرضها على الشعب الجزائري عامة والكتّاب الجزائريين خاصة بشكل مباشر وغير مباشر مما أدى إلى نشأة أدب مكتوب باللغة الفرنسية أدب ذي طابع سياسي واجتماعي، تمسك فيه الكتّاب الجزائريون بقضايا شعهم حين أحسّوا بالمشاكل التي يعانونها، فأبدعوا في وصفها رغم استخدامهم للغة العدو، فكان لهم تأثير كبير في تاريخ الأدب الجزائري وهذا خير دليل على نجاح العملية الإبداعية عندهم والتي تجلّت في روايات أبدع فيها أمثال محمد ديب ومولود معمري وكتّاب ياسين وآسيا جبار ومالك حداد وغيرهم، لذا سنحاول في هذا البحث الإجابة على مجموعة من الإشكالات - التي تُطرح كلّما ذُكر الروائيون الجزائريون الذين كتبوا باللغة الفرنسية - أبرزها: هل ما كتبه الروائيون الجزائريون باللغة الفرنسية يعدّ أدبا جزائريا أم أدبا فرنسيا؟ ما هي آراء النقاد والأدباء والباحثين حول جنسية هذا الأدب؟ وما رأي مالك حداد في هذه القضية؟ لذا سنحاول الإجابة على كل هذه التساؤلات انطلاقا من وجهة نظر الكتّاب أنفسهم ووجهة نظر النقاد والقراء.

2. إشكالية اللغة في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية :

أثارت قضية الأدب الجزائري المكسو باللغة الفرنسية الجدل والنقاش وسط الأدباء والنقاد والباحثين حول موضوع الهوية والكتابة بلغة المحتل الفرنسي بين من يقول جزائريته ويدافع عنها، وبين من ينفيها ويرفضها، لذا وجب التنويه إلى وجوب الموضوعية في هذا الشأن إذ إن لهذا النوع من الأدب دوافع وظروف أسهمت في نشأته وتكوينه وتطوره؛ فالكتابة باللغة الفرنسية ليست مسألة اعتبارية أوجدتها الصدف بل هي نتيجة تواجد احتلال فرنسي تجاوز وجوده قرناً من الزمن في الجزائر، وهو الذي عمد على تجهيل عموم الشعب الجزائري الذي لم يحظ الكثير منه بفرص التعليم إضافة إلى انتشار اللغة الفرنسية باعتبارها لغة رسمية للتواصل والمراسلات الإدارية وغيرها... فالنقاش حول الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية مسألة معقدة ومحورية في الساحة الثقافية والأدبية في الجزائر كون هذا الأدب نشأ نتيجة تأثير الاستعمار الفرنسي، وكون استخدام اللغة الفرنسية في الكتابة الأدبية الجزائرية ارتبط بالعديد من الأسباب والظروف التاريخية والاجتماعية حاول فيها الاستعمار قمع الثقافة الجزائرية وتجهيل الشعب الجزائري وطمس تراثه الثقافي والقضاء على لغته. كما أن التعليم كان باللغة الفرنسية وكان مقتصرًا على الطبقة المثقفة، لكن رغم ذلك لجأ العديد من الكتاب الجزائريين إلى استخدام اللغة الفرنسية كوسيلة للتعبير عن تجاربهم وأفكارهم والتعبير عن هويتهم الجزائرية ومواجهة مساعي الاستعمار من خلال الكتابة بلغته، فتمكن هؤلاء الكتاب من الوصول إلى جمهور أوسع داخل الجزائر وخارجها، ونقل الواقع الجزائري والتعبير عنه والتضال من أجل نيل الحرية والاستقلال واستمر هذا الأمر بعد ذلك زمنا طويلا.

كما أن هؤلاء الكتاب عبر اتخذهم اللغة الفرنسية لغةً لكتابة أعمالهم كانوا مجبرين في جلّ الحالات على اختيارها كما أن ما يُحسب لهم أو ما يشفع لهم من جهة أخرى إساههم ولو بالشيء اليسير في تدويل القضية الجزائرية عبر اللغة الفرنسية نفسها؛ فالأوروبي الذي قرأ الدار الكبيرة مثلا في ذلك الوقت تشكلت له صورة حقيقية عما يحدث فعلا داخل الجزائر. (يحيى، 2020م، ص 40)

يقول عبد الله الركيبي: "الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية قد أوجد لظروف وأسباب في مرحلة معينة وهو إن كتب بلغة أجنبية فإنه عبّر عن مضمون جزائري وواقع وطني الأمر الذي يجعل منه أدبا محليا وطنيا." (الركيبي، 1983م، ص 249) ويقول عبد الملك مرتاض: "إن رأيي في هذا الأدب سيء جدا، وقد أكون مخطئا فيما أرى وقد أكون قاسيا فيما أحكم... أن هذا الأدب غريب نفسه

ومنفي من موطنه الذي كتب فيه، ولم يستطيع أن يلعب دورا خطيرا في إذكاء نار الثورة التي فيضت للشعب الجزائري أن يكسرقويد الاستعمار الثقيلة. (مرتاض، 1969م، ص 21)

اختلفت رؤى وآراء الكتاب أنفسهم حول إشكالية التعبير باللغة الفرنسية في كتاباتهم بين من يرى أنها نعمة وبين من يرى أنها نقمة، فترى "أسيا جبار" أنها عندما تريد أن تعبر عن أحاسيس أو عن عادات المرأة الجزائرية مثلا... تجد نفسها أمام مشكلة ترجمة عواطفها وأفكارها العربية باللغة الفرنسية؛ وأن هناك شيئا ما ينقص الصورة. (خضر، 1967م، ص 7) ويقول مالك حداد: "إنني معقود اللسان أنا لا أغني... أنا لا أغني... فلو كنت أعرف الغناء لقلت شعرا عربيا، لقد شاء الاستعمار أن يكون في لساني آفة أن أكون معقود اللسان." وقال أيضا: "نحن نكتب بلغة فرنسية لا بجنسية فرنسية". (الأعرج، 1986م، ص 77) بينما لمولود فرعون رأي آخر في قوله: "لا يجب أن نبكي أو نشعر بالضيق لأننا نكتب باللغة الفرنسية فإنني لا أشعر بأي عقدة نقص، الكاتب مهما كانت اللغة التي يكتب بها إنما يقوم بعملية ترجمة لعواطفه وأفكاره ويبدل مجهودا كبيرا في سبيل التوصل إلى الشكل الذي يريده أو يرغب أن يظهر به عمله الجديد إنني أقول أن فرصة الكتابة بالفرنسية ثروة للثقافة الجزائرية (المناصرة، 2013م، ص 370).

رغم تضارب الآراء واختلاف المواقف حول هوية هذا الأدب ولغته إلا أن معظم النقاد يرون أن الكاتب قد يستعير اللغة والشكل والتقنية والأيدولوجية لكنه لا يستعير المجتمع الذي نشأ فيه والذي ينبثق منه النص ويعبر عنه ويرتبط به، لذلك قد يكتب بلغة الآخر إلا أنه لا يكتب إلا عن المجتمع الذي ينتهي إليه وبالتالي لا يتحدث في عمله الروائي السردى إلا عن الثقافة التي خرج منها وعاش في وسطها تلك الثقافة التي شكلت وجدانه عبر مختلف مكوناتها السياسية والتاريخية والاجتماعية والعقائدية والأخلاقية والعائلية والجغرافية. (مسلم، 2004م، ص 71)، فبناء الهوية والكيان الشخصي قائم على قيام وبناء عدة مقومات شخصية كاللغة والدين والثقافة والإرث التاريخي والحضاري ...

3. تجربة الهجرة عند الروائيين الجزائريين :

عاش معظم الكتاب الجزائريين الذين يكتبون باللغة الفرنسية تجربة الهجرة إلى فرنسا حين أقاموا فيها إما بحثا عن العمل الذي لم يجدوه في بلادهم، وإما مواصلة لدراساتهم بعد اكتشافهم

للثقافة الغربية في المدارس الفرنسية الموجودة في إفريقيا الشمالية؛ وإما خلال الخدمة العسكرية، وفي كثير من الأحيان نجد أنّ هذه الرحلة -مهما كان هدفها- تشكّل الأساس في المحاولة الأدبية الأولى لهؤلاء الكتاب لذلك نجد الأعمال الأولى التي يكتبها أديب من إفريقيا الشمالية هي عادة ترجمة شخصية يفصح فيها عن انتمائه الثنائي إلى عالمين مختلفين كما يعبر فيها عن ألمه عن عدم استطاعته أن يجد مكاناً في أي من هذين العالمين... (سعد الله، 2007م، ص71) ويعبر فيها عن المشاكل والصعوبات والتحديات اللغوية والدينية والثقافية والاجتماعية التي تواجهه لتمثيل هذه الظاهرة وتصويرها عبر نماذج بشرية وتجارب عديدة ومختلفة لشخصيات متخيّلة، فالرواية من أبرز الفنون الأدبية التي تنقل لنا تجارب واقعية مستمدة من حياة المهاجرين التي يعيشونها في ديار الغرب، والرواية تتميز أيضاً بقدرتها الفريدة على تجسيد إشكالية الذات والآخر حين تستعرض الواقع بكل تفاصيله الواقعية مما يتيح لكتابها التعبير عن مخاوفه وآلامه وأفكاره، كما تتيح للقارئ فرصة فريدة لفهم صراع الذات مع الآخر بشكل متكامل، وتساعده في استكشاف التحديات والصعوبات التي يواجهها الفرد أثناء تعامله مع الآخر.

4. ثنائية اللغة والهوية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية:

تنبؤ قضية اللغة والهوية مكانة مركزية مهمة باعتبارها قضية نظرية فكرية سواء طرحت من زاوية فلسفية أنثروبولوجية، أم كانت قضية سياسات تنفيذية تربوية وثقافية، فهي قضية وجودية لمستقبل الثقافة والمجتمع، فاللغة من المؤشرات المهمة للهوية إذ تساهم في تشكيلها وتعزيزها، والهوية الاجتماعية بوصلة المجتمعات والوعاء الحافظ لحيويتها واستمرارها في هذا الكون، والعلاقة بين اللغة والهوية علاقة وثيقة جداً ومتشابكة فإذا كانت الوحدة الوطنية لأي شعب هي قاعدة الارتكاز للبناء الحضاري والتقدم والتطور والتنمية في المجالات كافة فبغايها يفقد الشعب المرتكزات الأساسية لأمنه واستقراره وقدرته على احتواء الأزمات الناشئة عن الاختلافات العرقية والدينية والطائفية، لذلك هي ضرورة أساسية ومطلب يقاس على ضوئه مدى انسجام المجتمع وتقدمه وقدرته على تحقيق حالة الوفاق بين فئاته وقطاعاته، والفرد يستمد إحساسه بالهوية والانتماء من الشعور القومي ذاته فيحسّ بأنّه ليس مجرد نكرة وإنما يشترك مع عدد كبير من أفراد الجماعة في عدد من المعطيات والمكونات والأهداف، وينتمي إلى ثقافة مركبة من جملة من المعايير والرموز والصّور.

إنّ أي تعريف للغة لا يعترف بمحورية الهوية يعد ضرباً من اللغو المفاهيمي الذي لا قيمة كبيرة له، كما أنّ أي تعريف للهوية لا يراعي اللغة لهو تعريف ناقص، فاللغة هوية ناطقة وتتمثل في حقيقة أن مفردات اللغة تكتسب معاني مختلفة بحسب هوية الناطق بها واللغة لا تكون أداة توصيل للأفكار والمعاني إلا إذا انغمست في هوية صاحبها وانبثقت منها. (البريدي، 2012م، ص31)، فالترابط بين اللغة والهوية هو دائماً ترابط قوي بحيث أن سمة واحدة لاستعمال اللغة تكفي لتعيين علاقة شخص ما بجماعة ما (تابوري، 2009م، ص683). فاللغة والهوية يؤثر أحدهما في الآخر، فيؤثر الاختيار اللغوي واستخدام اللغة في تشكيل وتكوين الهوية، وفي المقابل يؤثر الوعي الهوياتي والانتماء الثقافي في اختيار واستخدام اللغة، " يؤكد خبراء العلوم الإنسانية أنّ ثمة أربع مسلمات أساسية ينبغي استحضارها عند معالجة مسألة اللغة وهي:

- اللغة وعاء للفكر وأداة للتفكير

- اللغة وسيلة للتواصل

- اللغة عنوان الهوية للفرد والمجتمع

ترتبط اللغة بالثقافة والقيم الحضارية.

وما يهّمنا في هذا المجال هو ذلك الارتباط الوثيق بين اللغة والهوية حيث تبرز أهمية اللغة بوصفها ملمحاً أساساً لشعور الفرد، وكذا الجماعة اللغوية بهويتها، فإلى حد كبير يمكننا أن ندرك أشياء كثيرة عن هوية شخص ما بمجرد استعماله للغة، فننتعرف مثلاً على جنسيته وثقافته، وسنه، وجنسه ودينه " (عياض، 2022، ص65).

مثّلت الهوية في الرواية الجزائرية جوهر الموضوع وبؤرة الصراع الداخلي للعمل الروائي لذلك فإنّ أغلب الكتابات الإبداعية مارست نوعاً من التفاعل الوظيفي بين الجوانب المختلفة للواقع الاجتماعي فكان هناك ربط مباشر بين الواقع الاجتماعي والديني والأخلاقي واللغوي؛ لهذا كان موضع كتابات الروائيين الجزائريين متمحوراً حول العنف والانتماء والأنا والآخر، فالهوية تمثّل المرتكز الفعلي للحضور الاجتماعي ونقطة انطلاق التّصور المستقبلي للجماعة؛ فهي القوة الخفية التي تحرك الذات وتجعلها قادرة على الشّعور والممارسة؛ ولما كانت هذه هي ميزة الهوية فإنّها مثّلت العنصر المستهدف في كل الصّراعات والحروب لأن من يسيطر على الهوية يكسب الصراع وهنا اشتغل الأفراد والجماعات على آليات منهجية وإبداعية متعددة لحفظ الهوية ومعالجتها خلال مراحل التصدّع التي يمكن أن تتعرض لها، وقد عمل الروائي الجزائري من أجل الارتقاء بنمط الكتابة الروائية ومعالجة الهشاشة

الحاصلة على مستوى الهوية الجماعية متجاوزًا بذلك حدود الواقع إلى فضاء المتخيل (قحام، 2016م، ص 490)، فالرواية الجزائرية تتناول قضايا الهوية الفردية والجماعية معا، وتسلب الضوء على التوترات والصراعات التي تنشأ من تعددها وتضاربها، فتتنوع وتباين رؤى الكتاب وتجاربهم في التعبير عن الهوية وتعكس التناقضات والتحويلات التي تحدث في المجتمع والتي تؤثر في الشخصيات الروائية.

5. اللغة والهوية في كتابات مالك حداد :

يعدّ مالك حداد نموذجا للكاتب الجزائري الذي يعيش حالة اغتراب لغوية، أدت به في النهاية إلى أن يصرخ مباشرة بعد الاستقلال "الفرنسية منفاي، لذلك قرّرت أن أصمت"، وهو القائل قبل ذلك "أكتب باللغة الفرنسية لأقول للفرنسيين إنني لست فرنسيا" إنّه تمزق مبدع كبير بين ذاته الموعلة في الحضارتين العربية والأمازيغية، ولسانه الذي ورثه عن استعمار جاء ليطمس ملامحه ولا يورثه إلا يتمه.

ولد مالك حداد في صيف 1927م بمدينة قسنطينة وفيها عاش طفولته وتلقى تعليمه الأول. ثم التحق بجامعة إكس أون بروفانس بفرنسا، وحصل على شهادة في الحقوق، عاد بعد الاستقلال إلى قسنطينة المدينة التي سكنت نفسه ونصبه، وقرّر أن يرعى المواهب الأدبية الجديدة من خلال إشرافه على القسم الثقافي ليومية "النصر"، ثم مجلة "آمال" التي أسّست لجيل أدبي جديد، كان حداد يرى في الأصوات الجديدة عزاءه بعد أن قرّر "الصمت الإبداعي"، فتحول إلى مدرسة أدبية في الرواية والشعر، ومن المفارقة أنّ معظم المنخرطين فيها من الكتاب باللغة العربية، لقد كان توليه الأمانة العامة لاتحاد الكتاب الجزائريين واضطلاعه بمنصب عال في وزارة الثقافة والإعلام في عهد الرئيس الراحل هواري بومدين نافذة منحت كثيرا من الشّمس للمواهب الجديدة، رحل مالك حداد في الذّكرى السادسة عشرة لاستقلال الجزائر عام 1978، مخلفا رصيда أدبيا ثريا يتكون من عدّة روايات : "الانطباع الأخير"، و"سأهبك غزالة"، و"رصيف الزهور لا يجيب"، وديواني شعر : "الشقاء في خطر" و"أسمع وأناذك"، ودراسة واحدة "الأصفار التي تدور في الفراغ (بوكة، 2014م) يرفض مالك حداد تسمية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية وإنما يسميه الأدب الفرنسي ذو التعبير الجزائري وهو تعبير لم يستعمله قبله ولا بعده أحد؛ ويلخص وجهة نظر لغاية من الدّقة والإيجاز فهو يؤكّد من

جهة على "الروح" الجزائرية التي كتب بها وتجلت من خلال المضمون الذي عبّرت عنه ؛ ولكنّه يعدّه فرنسا بالنظر إلى وسيلة التعبير ألا وهي اللّغة التي كتب بها. (منور، 2006م، ص122)

عاش "مالك حداد" حياتي نفي في كتاباته : حياة الوطن المتخيلة وحياة المنفى في فرنسا هذه الحياة الأخيرة التي عانى منها معاناة باتت واضحة في رواياته، فحسب رأيه منفاه لم يكن بعده عن الدّيار والحرمان من الأهل، فالمنفى عنده هو بعده عن ثقافة وطنه ومقومات هويته والتي كانت اللّغة أهمها حيث أبعد عنها كل البعد فهو يشعر في قرارة نفسه أنّه عربي الدّماء مسلم العقيدة وأنّه ينتمي إلى منطقة من العالم لها تقاليدھا الخاصة وعاداتها المميزة ومشاكلها الوطنية مع الاستعمار الذي فرض لغته على أهالي البلاد وحرّمهم من تعلّم لغتهم الوطنية وقد انعكس هذا الصّراع الذي عاشه بين حضارته وهويته العربية وبين الحضارة الأوروبية وهويّتها، إذ يقول:

أبتاه

حرمّت فتاك

موسيقى الجسد . . . انظره:

يرطن باللسان الأجنبي

كلمات تعلّمها

يوم كان راعيا (حداد، 2008م، ص11)

لم تشتهر مقولة في الأدب الجزائري المعاصر، مغاربيّا وعربيا، مثلما اشتهرت مقولة مالك حداد : «إنّ اللّغة الفرنسية لمنفائي» والتي وردت في مطلع روايته «سأهبك غزالة»، هكذا كتب مالك حداد يقول : «اللّغة الفرنسية حاجز بيني وبين وطني، أشدّ وأقوى من حاجز البحر الأبيض المتوسط، وأنا عاجز عن أن أعبر بالعربية عمّا أشعر به بالعربية، إنّ الفرنسية لمنفائي" (حداد، 1968م، ص 05)، لم تنافسها ربما في الانتشار والشّهرة، سوى مقولة أخرى تبدو مخالفة قليلا لمقاصدها، حتى وإن تقاطعت معها اشتراكا في طرح سؤال اللّغة المهيمنة، يتعلق الأمر بمقولة كاتب ياسين الشهيرة «الفرنسية غنيمة حرب»، وبين القولين تباينت الأطروحات وتعدّدت المواقف، وسرعان ما اتخذ النقّاش فيما بينهما منحى تجاوز الطّرح اللّساني للإشكالية الهويةّية في الأساس، لترسو رهينة تحت قبضة الإيديولوجية والتزمّت

اللّغوي وحتى العرقي، مما أفسد للأسف نقاشا ثقافيا وسوسولوجيا مهماً، كان سيخفف قليلا من وطأة تعصّب طالت جنائته الهوية الجزائرية بجميع مكوّناتها ولعلّ موقفه المثير للجدل في انتصاره للغة العربية، وانسحابه من الكتابة تجسيدا لرؤيته العميقة للأشياء أورده من خلال واقعة حقيقية، الكاتب أحمد دوغان في كتابه «شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر»، في حادثة تنطوي على رمزية شديدة، حينما التقى الدكتور عبد الله الرّكبي بمالك حداد أمام مبنى اتحاد الكتاب الجزائريين، قبل وفاته بمدة قصيرة، بعد أن شاهد طفلا صغيرا يرافقه، ينطق اللّغة العربية بفصاحة، سأله الرّكبي من هذا؟ ليجيب مالك حداد: «هذا انتقامي من اللّغة الفرنسية.. إنه ولدي (عمير، 2018م).

تعد رواية "سأهبك غزالة" لمالك حداد مقارنة بين عالم فرنسي مادي وعالم جزائري رومانسي في صراع بين هويتين هوية فرنسية فرانكفونية وأخرى جزائرية عربية ينقل مالك حداد من خلالها صورة واقعية عن مشاعره وانطباعات عدد من أفراد الشعب الجزائري الذين عاشوا التّجربة ذاتها أثناء فترة حرب التّحرير فيروي لنا قصة حب بين سائق شاحنة وفتاة تعيش في الصّحراء بدلالاتها وانطباعاتها وحول مدى وقوع إلتباسات الهوية بغية تشكيل هوية جزائرية عربية محضة حيث يطرح الكاتب قضية الإلتزام من خلال قصة حب كانت موضوع مخطوطة فلم يستطيع الكاتب نشرها بسبب اندلاع الحرب في بلاده وهذه الرّواية كتبت بالفرنسية ونشرت في دور النّشر بفرنسا، والرّواية عرض لحياتين حياة عاشها المؤلّف في فرنسا وحياة متخيلة، وبطل هذه الرّواية يعاني من إشكالية التّعاطي مع هويته الجزائرية إذ إنّّه يعيش في باريس نتيجة الاحتلال الفرنسي للجزائر، واسم البطل في هذه الرواية مهمش فهو يشار إليه بالمؤلف.

جسد مالك حداد فكرة الصّراع الحضاري بين الشّرق والغرب وأملى مجموعة من السّمات الدّالة على ذلك منها هجرة أبناء الوطن الأم إلى أرض غريبة (فرنسا) طلبا للعلم أو العمل وتمثل هذه الرّحلة نعيًا للذّات المفصولة ومصدر فصلها فتحوّلت باريس مدينة الجن والملائكة إلى مدينة أشباح الماضي المعاتب المستنكر والمذكر فتضاعفت آلام البعد والتّخلي عن الوطن لذلك نجد حدّاد يصوّر الوجوه والأبدان والهيئات ولا يهتم بمكان الغربة والمنفى، ومنزع حداد تغيب من غيبه فعمد إلى الجزئي الخاص وهمش كل ما هو عام دال على المكان وأهله؛ ويبقى المستعمر بلامحه البشعة مرآة الآخر لرؤية الذّات فعندما تحتوي الذّات على نماذج مغايرة هي جزء منها وتستبطن أساليب مختلفة فإنّها

تقيم علاقة حيوية ومثمرة مع ذاتها تمكّنها من تجديد قوالها الفكرية وتحديث هويتها الثقافية والتاريخية، لذلك رأى حداد في لغة المستعمر منفاه وغربته وتحسّس عن قرب مدى الاغتراب الذي تعانيه جماعته. لأننا ذاته وأناته مقابلها نحن وهذا الأخير مفصول مقيد مجبر على نصفية الهوية. (بوزيدي، 2014م، ص 44- 45)

إنّ التباس الهوية الوطنية الذي وقع فيه "مالك حداد" وغيره من الأدباء في كتاباتهم لم يكن بمحض إرادتهم، فقد جاء نتيجة للسياسة الاستعمارية التي فرضتها فرنسا والتي كانت تهدف إلى نفي الشّباب الجزائري وإبعاده عن مقوماته الشّخصية ومعالَم هويته العربية وقد عملت على دمج الشّباب الجزائري في حضارتها وإبعاده عن حضارته العربية وذلك بإبعاده عن وطنه، فقد عانى الشّباب الجزائري من الضياع بين حضارتين عربية جزائرية وأوربية فرنسية. كما عانى في تحديد هويته أعربية أم غربية؟ أصلية أم مكتسبة؟

6. خاتمة

- تأثر المشهد اللّغوي في الجزائر بآثار وتداعيات الاستعمار الفرنسي الذي سعى إلى نشر لغته وتعميمها والحفاظ على بقائها وجعلها لغة رسمية مستخدمة في جل القطاعات الحكومية والإدارية وأداة للتّعليم في المدارس كما سعى أيضا في المقابل إلى إقصاء اللّغة العربية من النّظام التّعليمي والتّشريعات الرّسمية وغيرها من الأنظمة والقطاعات، فكانت سياسته اللّغوية المنتهجة محاولة منه لتحقيق الهيمنة الثّقافية وإلغاء عناصر الهوية العربية الإسلامية في الجزائر بالتّرويج للثقافة الفرنسية والقيم الغربية، غير أنّ الشّعب الجزائري نجح في مواجهة تلك التّحديات عبر الحفاظ على لغته وهويته العربية واستطاع مجابهة تلك السّياسات الاستعمارية التي سعت إلى محاربة دينه ولغته وطمس هويته، فبعد الاستقلال أصبحت اللّغة العربية اللّغة الرّسمية في البلاد ولغة التّعليم في المدارس واللّغة المعتمدة في المؤسسات الحكومية فعادت إلى مكانها الطّبيعي كجزء مهم من مقومات الهوية الجزائرية وكوسيلة ضرورية للحفاظ على التّراث والتّنوع الثّقافي في الجزائر وتعزيز الانتماء الوطني لأفراد الشّعب، فاللّغة ليست أداة للتّواصل والتّعبير والتّأثير فقط، بل هي مصدر لقوة الشّعوب وركيزة أساسية في تحقيق وحدتها.

- إنَّ الهوية الأدبية للأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية موضوع جدل ونقاش بين الدارسين والمثقفين الجزائريين، لذا تتباين الآراء حول جنسيته الأدبية، حيث يعتبره البعض أدبا جزائريا، بينما يرى البعض الآخر أنه أدب فرنسي استنادا إلى اللغة التي يكتب بها، وهناك وجهة نظر ثالثة تعتبره أدبا فرنسياً بروح جزائرية، أي يجمع بين اللغة الفرنسية والتراث الأدبي الجزائري .

- إن كتابات الروائيين الجزائريين الذين يكتبون باللغة الفرنسية وإن حُددت هويتها الألسنية على أنها هوية فرنسية غربية، إلا أنه وبالنظر إلى موضوعها فهي تنتمي إلى الوسط العربي الجزائري فهي ذات هوية عربية بحكم موضوعها، فقد عان هؤلاء الكتاب التباسا في محددات الهوية. والتعاطي مع هويتهم الجزائرية الوطنية في المنفى وذلك لأن رواياتهم كتبت في وقت الاحتلال الفرنسي للجزائر فحملت معاناتهم مع الهوية الشخصية والوطنية، فإذا شاء هؤلاء الكتاب أن يعبروا عما في نفوسهم فإنهم لا يجيدون لذلك من وسيلة سوى اللجوء إلى اللغة الدخيلة لغة العدو تلك اللغة التي أتقنوها أيما إتقان.

- واجه الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية تحديات ولأزال، خاصة فيما يتعلق بالانتماء القومي، سواء كان تحديد هوية هذا الأدب من خلال الجانب اللغوي أم لا رغم ذلك يعتبر هذا الأدب جزءا من التراث الوطني من حيث المضمون الفكري والاجتماعي، وبالرغم من التحديات، فإن الكتاب الجزائريين مازالوا مستمرين في كتابة أعمالهم الإبداعية باللغة الفرنسية في الجزائر. وتظل التقاليد الأدبية باللغة الفرنسية حاضرة ومستمرة، وهناك أدباء يؤكدون على أنه لا يوجد فرق أساس بين الكتابة باللغة الفرنسية أو العربية، مادام الكاتب يبدع بغض النظر عن اللغة التي اختارها للكتابة ومادام يروي واقع بلاده حاملا رسالة تعبر عن الواقع.

7. قائمة المراجع

. البريدي، عبد الله، (2012م). اللغة هوية ناطقة، سلسلة كتاب المجلة العربية، المملكة العربية السعودية.

. بوداود، عمير. (2018م). "مالك حداد إنَّ اللغة الفرنسية لمنفاهي"

[HTTPS://WWW.NAFHAMAG.COM/2018/06/032021](https://www.nafhamag.com/2018/06/032021)

. بوزيدي، زهيرة. (2014م). " لغة المنفى وانشغالات الذات في روايات مالك حداد". مجلة الآداب واللغات. (العدد 9). ص 44-45.

- تابوري، أندريه. (2009م). اللغة والهوية في دليل السوسيولسانيات. د.ط. مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان.
- جلال، حمودة. خروب، محند يحيى. (2020م) "الترجمة وسيطا لتناقضات الهوية اللغوية في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية حالة محمد ديب أنموذجا". مجلة معالم، ، المجلد 10(العدد01):ص 40.
- حداد، مالك. (2006م). التلميذ والدّرس. د.ط. منشورات دار الثقافة. الجزائر.
- (1968م). سأهب لك غزالة. د.ط. الدار التونسية للنشر. تونس.
- الركبي، عبد الله. (1983م). القصة الجزائرية القصيرة. ط1. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر.
- سعد الله، أبو القاسم. (2007م). دراسات في الأدب الجزائري الحديث. ط5. دار الرائد للكتاب. الجزائر.
- سعد، محمد خضر. (1967م). الأدب الجزائري المعاصر دراسة أدبية نقدية. د.ط. منشورات المكتبة العصرية. بيروت.
- عياض، سليمة. الهوية الوطنية وإشكالية التعدد اللغوي في الجزائر. مجلة قضايا لغوية، وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية في الجزائر. العدد 01. 2022م. ص65.
- قحّام، التوفيق. (2016/2017م) أزمة الهوية في الرواية الجزائرية المعاصرة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الآداب واللغات جامعة محمد لمين دباغين سطيف. الجزائر.
- مرتاض، عبد المالك. (1969م) نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925-1945م. ط1. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر.
- مسلم، محمد. (2004م). خصوصية الهوية وتحديات العولمة. ط1. دار قرطبة. الجزائر.
- المناصرة، عز الدين. الهويات والتعددية اللغوية قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن. د.ط. الصايل للنشر والتوزيع، عمان.
- منور، أحمد. (2006م). "من هو الكاتب الجزائري وهوية الأدب الذي يكتبه؟" مجلة الثقافة الجزائرية. (العدد المزدوج 8/9) . ص122.
- منور، أحمد. (2007م). الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياها. د.ط. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.

. واسيني، الأعرج. (1986م). اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، د.ط. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر.

. بوكبة، عبد الرزاق. (2014م) "مالك حداد يخرج من منفاه" [/https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2014/1/5](https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2014/1/5)